المجالس القومية المتخصصة

مجلس الخدمات

"لجنة الإسكان"

"الارتقاء بجودة الحياة الحضرية"

مسودة ورقة مقدمة إلى اللجنةالموقرة

2007/4/30

د. عادل يس

مقدمة

منذ بدء الاهتمام بالبيئة فى العالم عام 1962 فى الولايات المتحدة الأمريكية، ومنذ مؤتمر ستوكهولم عام 1972 ـ تنامى الإحساس بأهمية جودة الحياة فى المجتمعات البشرية. انتقلت بعدها الأهمية إلى الحياة السياسية بالعالم أجمع و أثرت فى معظم القرارات الحياتية للأمم. و فى هذا الخضم من الأنشطة الكونية، لم يحظى أى من المجال الاجتماعى أو العمرانى فى الحياة الحضرية ما حظى به تغير المكونات الطبيعية للهواء أو الماء أو التربة من اهتمامات حقيقة. فى الواقع تفاقمت أيضا المشاكل الاجتماعية فى الأحياء المتدنية من المدينة والتى لم تجد الاهتمامات الكافية لإصلاحها. على هذا جاءت الاهتمامات فى مجال جودة الحياة بثلاث عناصر تتوازن فيما بينها، وهى الاجتماعية والنفسية و التشكيلات العمرانية فى الحياة الحضرية.

نسعد فى الوقت الحالى باستكمال و توفير ضرورات الحياة الحضرية، من أسكان وطرق و حدائق و غيرها. و نقصد بالحضر كل من حياة المدينة و حياة الريف ، رغم وجود اختلاف فى سبل العيش فى كل منهما. و كما يقول ابن خلدون فى مقدمته عن حياة الحضر، فهى تسمو من الضرورات إلى الرفاه، أى من الضرورات إلى الكماليات. و إذا كنا نستكمل ضرورات الحياة، فعلينا أن ننظر الآن إلى الرفاه و نتوقعه و نعمل على البدء

ورقة عمل
الدورة ٢٧ حذفاح

بتحقيقه. و نزعم أن الرفاه الذى يقصده بن خلدون هو تحقيق و توفير جودة الحياة الحضريه، وهو موضوع هذا التقرير.

الموضوع الذى يجب أن نعتد به هو أن الحياة الحضرية هى أكثر من ترتيب و تجهيز و تداخل مجموعات متنوعة من الوضعيات البنائية . وهى ليست فقط تحتوى على اناس يمارسون نشاطات متعددة فى تلك الوضعيات البنائية ، ولكن هؤلاء الناس و تلك النشاطات هى بدورها منظمة و معرفة بتكوينات مترابطة من العلاقات الاجتماعية. وجميع تلك التكوينات الاجتماعية مشتركة فى هدف واحد وقيم مجتمعية واحدة . وعلى هذا فإن عالم النفس البيئى يهتم أيضا بما يمارسه الناس من أنشطة ، وما يحسون به، و يشعورن به كأفراد ، فى علاقاتهم ببعضهم البعض فى البيئة المبنية .

أثرت عمارة الحداثة و التصميم العمرانى بداية من القرن الماضى ، وخاصة "درجة الحداثة" ، فى شكل المدينة الحالى تلك الموجة "الحداثة" ، استقبلت التصميم العمرانى ليس كنشاط يساعد فى عملية تطوير المدينة، ولكن كإبداع شامل النشاط بدأ من الصفر، فهو يهدف إلى إحلال المدينة الحالية بمدينة كاملة الحداثة. فالحداثة المعاصرة لتشكيل المدينة المحتوى على جودة الحياة الحضرية تأخذ صفة "غير مؤكدة". هى ،على أى الأحوال، حينما لا يحل التصميم الحضرى المشاكل المتواجدة فى الحضر، فعليها فى المستقبل أن تعزز التراسل الروحى بين التشكيلات العمرانية والنفسية الثقافية للجمهور. ذلك يمثل العلاقة الانسانية بين التشكيلات العمرانية والمعمارية شاملة الفراغات العامة، وعلاقتهم بالنشاطات الانسانية المرتبطة بتلك التشكيلات و الفراغات. و السؤال هنا ، هلى تسهم المدينة فى جعل الجمهور يتحقق ويتعرف على أغراضهم و متطلباتهم ، أو يتغاضون عنها.

تسببت قلة المعرفة و قلة الخبرة فى المجالات الاجتماعية و النفسية و العمرانية ــ فى وقت ما سابق ــ فى تدنى جوانب التصميم الحضرى و التخطيط العمرانى و التى

كان المنوط بها تحسين جودة الحياة الحضرية. وعلى هذا ظهرت بعض المناطق العمرانية ــ مثل بعض مناطق الإسكان الشعبى فى عين الصيرة و غيرها ــ مفتقرة إلى متطلبات الجودة الحضرية.

تعتمد جودة الحياة الحضرية على ركيزتين، أولاهما هى مؤشر الصحة الجسدية و العقلية التى يتمتع بها سكان المناطق المتنوعة بالمدينة، و ثانى الركيزتين هى إدراك الأفراد ومحصول خبراتهم عن موقع سكناهم ضمن أحياء المدينة، أو التى يعملون بها، و من ثم نوعية أحكامهم على مقدار جودة الحياة فيها.

وكانت قد أصدرت الأمم المتحدة فى" تقرير التنمية البشرية " عام 1991 م ، فقرة هامة ، نعتبرها أساسية و لها الأولوية فى تحديد استراتيجية العمل على جودة الحياة الحضرية. والفقرة ترجمتها تقول :

> **" لو كانت عقبات التنمية البشرية تقبع فى نقص الموارد، وفى عقبات تقنية ، فالأمر لا أمل فيه . نحن نعلم عكس هذا ، فوجود الالتزام السياسى ، وليس الموارد ، هو الدافع الرئيسى لعدم إهمال الانسان " .**

ولا شك فى أن الإلتزام السياسى يوفر جانبين أساسيين لجودة الحياة هما جَودة الظروف العمرانية المحيطة فى المعمور كما أسلفنا فى أعلى التقرير المقدم هنا ، و جودة الإنسان من النواحى الثقافية و الاجتماعية و الصحية و غيرها. وجَودة المعيشة فى حياة الإنسان تتحقق من خلال مدى التمتع بالنشاطات اليومية من انتاجية و من استهلاك الثروة فى المحيط الحيوى ، وهما تعبيرين عن الرضا من تحقيق المتطلبات الانسانية فيى الغذاء والمأوى و الترفيه المناسب للظروف المجتمعية السائدة .

تعتمد الدراسة فى موضوع " جودة الحياة الحضرية "المقدمة هنا، على خمسة محاور :

1. معنى جودة الحياة؛
2. المدينة و التصميم والناس؛
3. الشبكة الاجتماعية و الأحياء الحضرية؛
4. علاقة الإنسان بالبيئة
5. الجودة وعلاقتها بنظم الأماكن المفتوحة ــ دراسة عملية فى جامعة عين شمس

1. معنى جودة الحياة ــ Quality of Urban Life

بدأ مفهوم جودة الحياة الحضرية يأخذ مكانته فى العالم منذ أواخر الستينات ، منذ بداية أزمة البيئة. و لقد استخدم كثيرا بين متخصصى العلوم السلوكية ، و المسئولين الحكوميين، والمصممين، و كثير غيرهم.

هذا الموضوع ــ جودة الحياة الحضرية ــ يهتم بما إذا كان الناس يعيشون بطريقة "جيدة" أو "سيئة". هل الحياة سهلة أو صعبة. هل الناس راضين أو غير راضين. هل تساعدهم المدينة فى فهم هدفهم من الحياة فيها و تؤكد رغباتهم، أو العكس. المعنى يتفاوت ما بين "الخدمات المناسبة" للذين يعيشون فى المدينة ، و بين الاهتمامات بالنشاطات الاقتصادية شاملة فى هذا تقليل ظاهرة البطالة، زيادة الدخل ، التنمية الاقتصادية المستقبلية ، إلى الاهتمام بمستوى الرضا داخل الحياة العائلية و العلاقات الاجتماعية الأخرى.

اذن الموضوع يتعدد الجوانب ، وهو يحتوى على العديد من التعاريف المعينة تتفاوت فى المعانى ، و حدود تطبيقاتها فى المدينة و لسكانها. وعلى هذا ، فإن الموضوع يهم الباحثين ، و المصممين و المعماريين و مسئولى الحكومة ، كل حسب القطاع المنوط به فى المدينة .

تتحقق جودة الحياة من خلال توفير إحدى عشر مجالا، تتروح بين المادية ، والاجتماعية/ نفسية ، والاقتصادية ، و الجمالية و .. الخ. تنعكس تلك المجالات أو المؤشرات ــ كما يطلق عليها ــ و تلقى الضوء بدورها على ثمانية محددات تصميمية تظهر فى التشكيلات العمرانية فى المدينة، و التجمعات الانسانية .

2. المدينة و التصميم و الناس

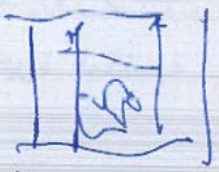

الموضوع الذى يجب ان نعتد به هو أن الحياة الحضرية هى أكثر من ترتيب وتجهيز و تداخل مجموعات متنوعة من الوضعيات البنائية . وهى ليست فقط تحتوى على اناس يمارسون نشاطات متعددة فى تلك الوضعيات البنائية ، ولكن هؤلاء الناس و تلك النشاطات هى بدورها منظمة و معرفة بتكوينات مترابطة من العلاقات الاجتماعية. وجميع تلك التكوينات الاجتماعية مشتركة فى هدف واحد وقيم مجتمعية و احدة وعلى هذا فإن عالم النفس البيئى يهتم أيضا بما يمارسه الناس من أنشطة ، و ما يحسون به، و يشعرون به كأفراد ، فى علاقاتهم ببعضهم البعض فى البيئة المبنية .

نوعيات ثلاث من تشكيل المبانى تتميز بنشاط إنسانى سائد فى مجتمع حضرى مثل مجتمعاتنا هى السكن و مكان التسوق و مكان العمل. و فى كل منهم / فى أى منهم يمضى الإنسان نعظم وقته يمارس فيه معظم النشاطات اليومية و الأهم فى حياته.

على ذلك ، فإن ما يتم تجاهله عادة وسط تلك الأنشطة الثلاث، هو العلاقة المكانية والوظائفية- مادية و انسانية - بينهم، فالحركة من أى واحدة منهم للأخرى ، والعودة ، تؤكد أهمية تأثير إمكانات كل منهم على الأخرى، و مثلا، هل تؤثر الجودة المتدنية

لمكان السكن على خبرة طفل يذهب إلى مدرسة فى موقع متميز فى جودته الحضرية؟

على هذا المنوال ، فإن الانتقال بين أى من تلك النشاطات الأخرى ، يعنى التنقل من خلال الممرات و الشوارع و الميادين، فرادى ومجموعات، وكل هذا يؤخذ فى الاعتبار عند النظر إلى تصميم المدينة. و بذلك ، فى تقييم جودة الحياة الحضرية ، السؤال الذى يجب أن يوجه ، وعلى سبيل المثال ، هو ليس ما يواجهه راكب المواصلات فى يومه، و لكن يصبح السؤال هو " ما هو معنى الخبرة المكتسبة المتكررة يوميا و لسنين طويلة؟ وماالذى يترتب عليها؟

الحياة الحضرية تحوى العديد مما يمكن تسميته " تشكيلات عمرانية متخصصة" ، وهى تساعد على تعريف تلك الجودة الحياتية. فالتنقل ما بين السكن و التسوق ومكان العمل يمر على أماكن ذات خاصية وضعية شكلية للأبنية فيها. نحن نشير إلى المستشفيات، محلات الأكل و الملابس، المكاتب الحكومية ، المكتبات والمتاحف، حدائق و سينمات، مطاعم، مراكز الشرطة و غيرها من مبانى الأمن مثل السجون وغيرها الكثير ــ إذا أضفنا إليها تلك المحلات و المساكن والفراغات العمرانية من أماكن أكثر أهمية أو أقل أهمية (أماكن اللهو، المصحات، ..) يصبح بعدها التشكيلات الحضرية ذات مفهوم فكرى و فيزيقى . و الأ مثلة كالتالى :

المسافات بين فراغات عمرانية محدودة وأماكن فى المدينة، ذات صفة مادية ، وفى الغالب هى أهم صفة لتلك الأبنية . و لكن يوجد أكثر من هذا و لهم نفس الأهمية . الوضعية الفيزيقية لنوع معين فى مجتمع حضرى قد يتنوع فى العدد لدرجة أن الفكرة التى تكونت عن التميز المكانى يصبح له مكانه فى إدراك الشخص لتلك الحطيات.

علينا أن نفكر فى 200 مبنى فى مساحة كيلومتر مربع مقارنة بخمسين مبنى بها. وعلى تلك الخلفية الذهنية ، فلا بد أن للأبنية صفة وظائفية معينة . وعلى هذا ، فإن " التميز" و "التنوع" هما يندين إذا اجتمعا ، فإن صفة " التعقيد" للحطية الحضرية تبدأ فى الظهور.

و لاشك أن التعقيد فى الحطية الحضرية يتشكل من التميز و التنوع ، يعنى التكامل فى جودة التشكيل.

هل للمجموعة المبنية التى تحوى مجتمع مدنى يظهر من التشابك / الاندماج ــ كما يفترض أن تكون عليه الأغراض، و المسافة/ الأمكنة، السعات الوظيفية؟ وهكذا. شئ آخر ، وهو الزمن. فإن المنطقة المبنية تتعرض للتغيير . هنا الزمن له البعد الهام فى اعتبار المنطقة العمرانية. وعلى ذلك فالمنطقة لها دورة حياتية ليست كالإنسان. فهى تخطط و تنمو و تتغير، وفى الغالب تختفى بعد ذلك.

على هذا ، يجب أن يوجد ارتباط بين حياة الانسان وحياة الحطية ، لكنها يجب أن يتم اختيارها على فترات فى دورتها الحياتية . كلاهما يتغير أثناء النمو فى حياته.

و كلا الموضوعين ــ المادية وغير المادية ، أو كما يشرحها العالم الكبير د. محمد عبد الفتاح القصاص بمعنى" الأصول الثابتة و الأصول الناعمة" ــ يعلنان عن الاهتمامات المجتمعية فى مجتمع ما بعد الحرب العالمية الثانية وهما سيادة الاهتمام بعنصرين أساسيين هما السعادة happiness و الرضا satisfaction ، و ذلك بعد أن تم تحقيق المتطلبات المعلنة فى وقت ما قبل الحرب و الخاصة بالاحتياجات المجتمعية المتلخصة فى الديموقراطية و الاقتصاد و الاخلاق . – Democratic policy – economism . ethics..

ولا شك فى أن ما نصبو إليه جميعا الآن فى المجتمع الدولى هو أن نلحق بتلك المتطلبات الإنسانية سواء ماكان منها انطلق فى فترة ما قبل الحرب أو فى فترة ما بعدها، وخصوصا فى مصر.

3. الشبكة الاجتماعية و الأحياء الحضرية

و ببدء البحث عن المؤشرات الإحدى عشر، التى تتحقق من خلالها جودة الحياة الحضرية نجد أنها تحوى ثلاثة و خمسين بندا كالتالى : ــ

1-المجتمع	2-المعرفة و المهارات	3-مستوى المعيشة الاقتصادى	4-التنمية الاقتصادية
1. نمو السكان 2. المجموعات 3. الفئات العمرية 4. العائلات و ادارة البيت	1. التربية و التعليم فى الطفولة المبكرة 2. رتبة المدرسة 3. التعليق و الرسوب 4. مستوى المهارات 5. تعليم المجتمع	1. الدخل 2. التكاليف 3. مصروف البيت 4. الجانب الاجتماعى	1. النمو الاقتصادى 2. التوظيف 3. نمو أعداد الأعمال 4. المبيعات 5. السياحة

5 الاسكان	6-الصحة	7-البيئة الطبيعية	8-البيئة المشيدة
1. موقع البناء 2. تكاليف و إمكانيات البناء 3. كثافة المسكن 4. امكانيات الإسكان المعقولى 5. كثافة الإسكان الحضرى	1. توقعات الحياة 2. الأوزان المنخفضة للمواليد 3. وفيات الأطفال 4. الأباء الصغار 5. الأمراض 6. الصحة العقلية و العاطفية 7. الحالة الصحية 8. معامل المجازفة	1. إدارة المخلفات و التدوير 2. التنوع البيولوجى 3. نوعية الهواء 4. الشواطئ و نوعية المياه 5. جودة مياه الشرب الصحة الحضرية	1. شكل المدينة و الاحساس بها 2. المناطق الخضراء 3. الرسومات الحائطية 4. التلوث السمعى 5. المرور و النقل 6. النقل العام

9-الأمان	10-التواصل الاجتماعى	11-الحقوق المدنية و السياسية	
1. مفهوم الأمان 2. أمان الطفل 3. حوادث الطرق 4. مستوى الجريمة violent Death	1. جودة الحياة 2. التنوع 3. قوة المجتمع و روحه 4. التواصل الالكترونى	1. الاشتراك فى اتخاذ القرار 2. التصويت 3. التمثيل	

شكل رقم 1

فى هذا الجدول، ترتبط جميع العناصر لانتاج المنظومة اللازمة لجودة الحياة الحضرية، فمثلا نجد أن عناصر البيئة المشيدة يتردد صداها فى عناصر باقى المؤشرات.

أما من جانب الثمانية محددات تصميمية التى تظهر فى التشكيلات العمرانية فى الحضر، فهى فى الجدول كالتالى : شكل رقم 2

هيكل الاعتبارات التصميمية داخل الإطار التصميمى للبيئة العمرانية							
الفراغية	التشكيلية	السياق	البصرية	الادراكية	الاجتماعية	الوظيفية	الاستدامة
التصميم القانونى ألفراغات المفتوحة	حدود المبانى	الطابع	الكتلة	التميز	المداخل	ضوء النهار	كيفاءة الطاقة
	الكثافة	الحماية	المظهر الخارجى	الانغلاق	الجريمة الاستعمال	البنية التحتية ممرات	تنسيق الأراضى
تدرج الطرق	الموقع العام	السياق	حجم المنطقة	المكان	المختلط	المشاه	التوجيه
النسيج العمرانى	نسيج الشوارع حجم قطع الأراضى	الجودة البيئية	الطراز المحلى	التنوع	جودة الحياة	حجم المسكن	ضوء الشمس
التزاحم البنائى	القابلية للاتصال	الارتفاعات	التكتل	اللانقية	أماكن اللعب	نمط المسكن	الأشجار
التشكيل المسمح		نائير المجاورات	المنفعة	البوابات	الصحة العامة	الموقع العام	البيئة الإيكولوجية
الأحياء	الحدود	تنسيق الأراضى	المقياس التفاصيل	المقياس الإنسانى	الأماكن العامة	الإشراف	القدرة الاستيعابية للبيئة
المجاورات	الجزينات	العلاقة مع المبانى	التصميمية	الشخصية الصورة	المراقبة	التظليل أماكن	المناخ المصغر
النقل العام	التصميم المرحلى	التموقع	المواد	الانطباعية	الحيوية	الانتظار	هيمنة الطرق
الطبوغرافيا	التشكيل	المناظر	الطراز	الوضوح	داخل المعوقين	الخصوصية تصميم	تعدد الاستعمالات و الوظائف
	شبكة الفراغات	مناظر محورية	الاتزان	الخبرات الحسية	المجتمع	الطريق	القدرة الاستيعابية للموقع
	النسب الفراغية	تنسيق الشوارع	اللون		التساوى الاجتماعى	سلامة الطريق	التنظيم للزراعة و التشجير
		الحدود	الأركان		المرافق	حجم الحدائق	الجدوى/الإمكانيات الاقتصادية
		مجموعات المبانى	النقط البؤرية		الترباط الاجتماعى	تشيل الفراغ	
		التناقض حجم قطع الأراضى	شكل الكتلة		احتياجات الأقليات	الإضاءة	
		الوحدة	التناغم		الشخصية المميزة	التخديم	
			العلامات المميزة		الحياة العامة	المنحدرات	
			النسب		العام/الخاص	المرور	
			الإيقاع				
			الثراء				
			تنسيق شكل الأسقف				
			خط السماء				
			السد و المفتوح				
			الملمس				
			تنسيق شكل المدينة				
			الأفقيات و الرأسيات				

فى الجدول السابق ــ شكل رقم 2 ــ ترتبط جميع الاعتبارات الثمانية فى مدمج واحد لإنتاج النوعية البيئية المتميزة بالجودة، فنلاحظ مثلا أن ضوء النهار ــ أول الاعتبارات الوظيفية ــ يتردد صدى تأثيره في الاعتبارات الفراغية و التشكيلية و السياق و البصرية و الإدراكية و الاجتماعية و اعتبارات الاستدامة. وهكذا فى كل الاعتبارات.

وفى أحوال المناطق التى يطلق عليها عشوائية ، لا ينطبق معظم ما جاء فى الجداول السابقة عليها. فمن الأمثلة الكثيرة الموجودة فى الدولة، نختار عشوائيا إحدى المدن ــ المنصورة ــ لكى نظهر تلك الصورة المعنية من وجود نوعية البيئة المشيدة بها. وجد أن بتلك المدينة إحدى عشر منطقة عشوائية. سبعة فى حى غرب ،وأربعة فى حى شرق.

فى الشكل التالى ، الصورة و الرسم، استخلصنا منهما أربعة مناطق، لإظهار النسيج العمرانى.

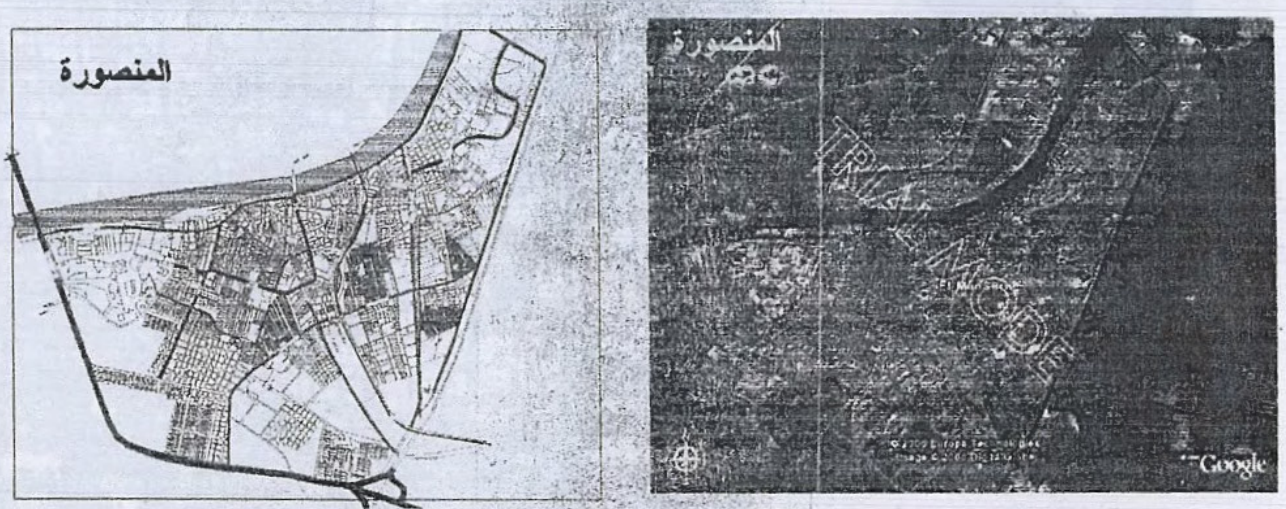

شكل رقم 3

من الصورة الفضائية لمدينة المنصورة، ومن الرسم ــ على اليسار ــ تم استخلاص أربع مناطق لا تتشكل فيها البيئة المشيدة المناسبة لانتاج الجودة المطلوبة للحياة الحضرية.

شكل رقم 4

أربعة أشكال من المناطق العشوائية فى مدينة المنصورة ، التي تحتوى على إحدى عشر منطقة. تلك النماذج تعرض التشكيل الحضرى للعمران الخالى من مقومات الجودة الحضرية .

شكل رقم 54 ــ المساكن العشوائية فى القاهرة و أسوان ــ على الأرض الزراعية و على الأرض الجبلية .كلاهما يعرض المستوى المنخفض من جودة الحياة الحضرية .

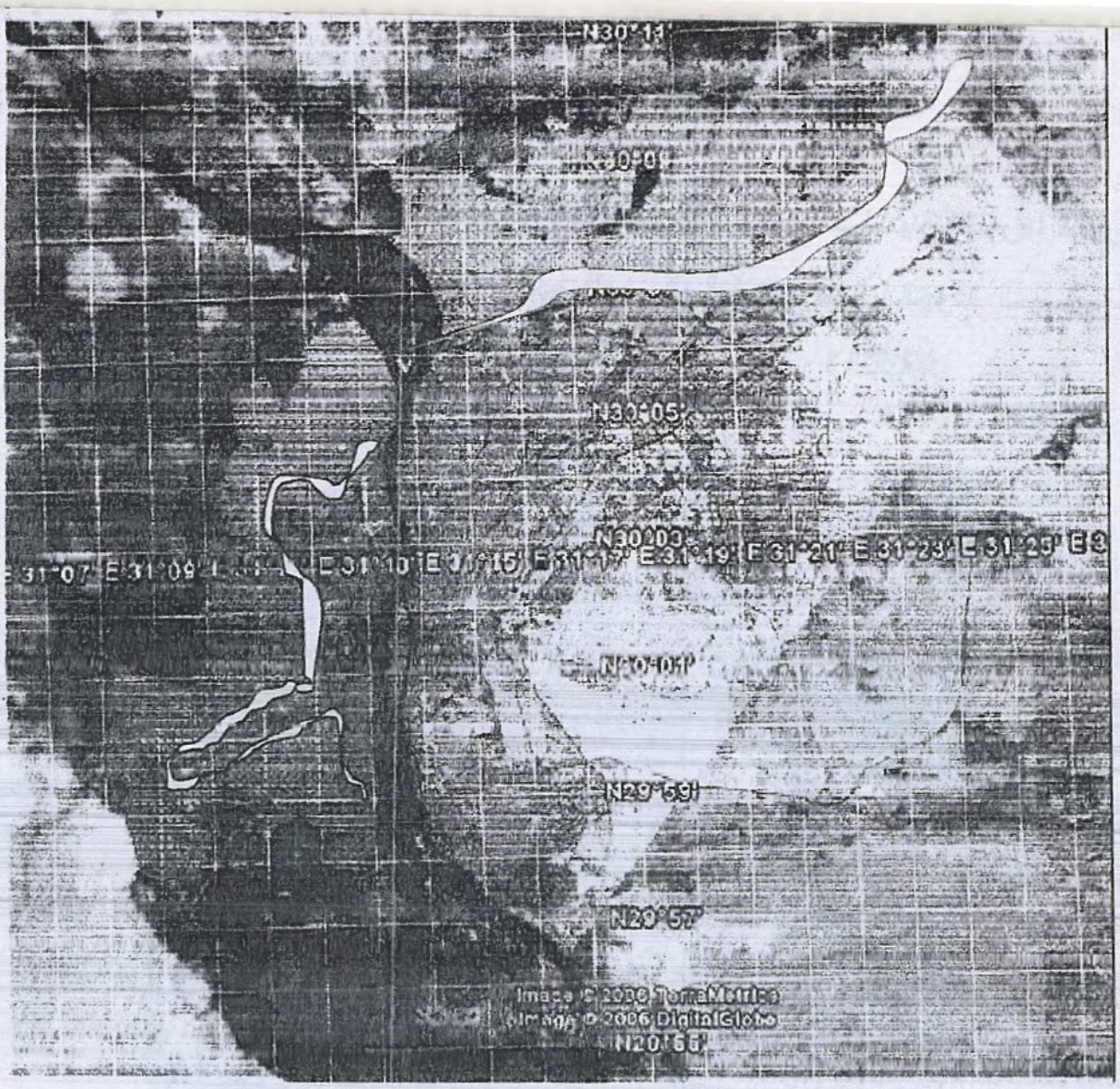

شكل رقم (6)

مدينة القاهرة محاطة بالقوس الغربى من المناطق العشوائية المتلاصقة ، التى تكون درعا مانعا لها من الامتداد نحو الغرب، ولكنها فى نفس الوقت قيدا لمجتمعها من الارتقاء بجودة الحياة ، و لسكانها، و مكونا فى نفس الوقت خطا للمواجهة ، بل جبهة قوية تمتد بين طبقتين ثقافيتين بطول القاهرة، من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى . اللون الأحمر يؤكد المناطق العشوائية ــ اللون الأصفر يبين جبهةالمواجهة أمام العشوائية.

و من هنا، لا يقتصر الموضوع على كتلة المنطقة العشوائية ، أو المناطق العشوائية، و لكن يرتبط أيضا بما يجاورتلك المنطقة من مناطق أخرى ذات ميزات أخرى. فكما أسلفنا، توجد خطوط مواجهة،أو هى جبهات مواجهة بين منطقتين ، أو مجموعتين

متناقضى المستوى الاجتماعى. فالخريطة السابقة ـ شكل رقم ـ لمدينة القاهرة، تظهر بها تلك الجبهات التى نعتبرها إحدى الخصائص السالبة فى مجال الجودة الحضرية. ولكى نظهر الصورة المكبرة لإحدى تلك المناطق نعرض الصورة التالية :

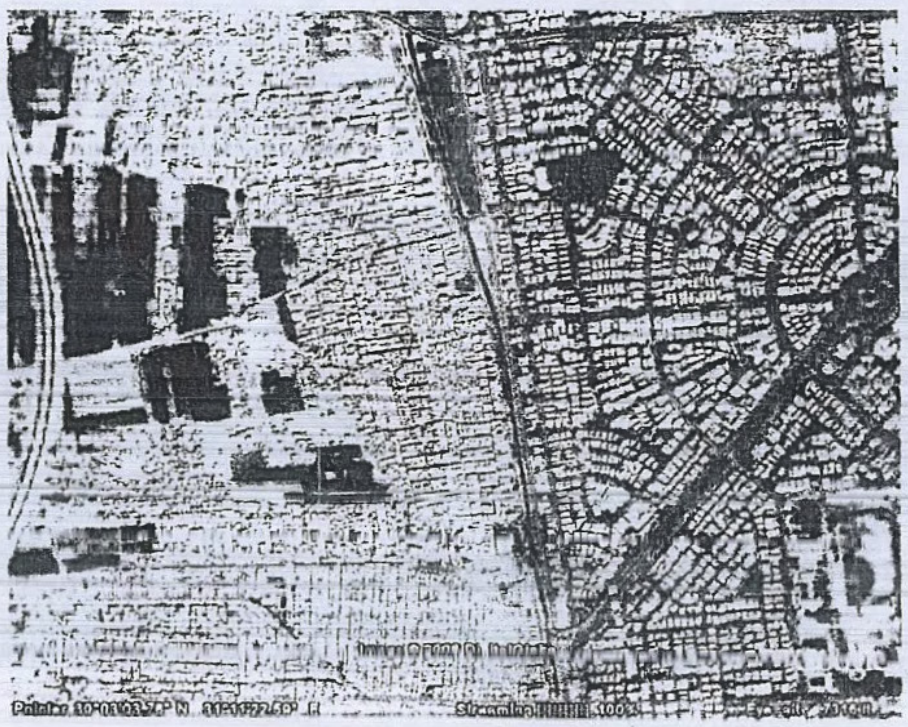

شكل رقم 7

هنا فى هذه الصورة، نراها منقسمة نصفين، النصف الى اليمين هو حى المهندسين، و النصف على اليسار هو لحى امبابة. و الفاصل بينهما شارع يمثل الجبهة الفاصلة بين مجتمعين ، هو فاصل شديد الحساسية فى مجال الجودة الحضرية.

مداخلة 1 ــ لمحة عن العمران المصرى المـــــــــاضى

القاهرة ــ كمثال و كعاصمة فى مصر، تنسحب أحوالها تقريبا على الحضر ــ حينما تولاها الخديوى اسماعيل باشا، نظر إلى تنميتها / تحديثها من منظور سياسى ــ وساعد فى هذا ما اكتسبه من الخلفية الثقافية هو ووزيره على باشا مبارك منذ أن كانا فى المدرسة الحربية فى باريس ــ فاقتطع فيها الشوارع المستقيمه العريضة التى تصل مركزها الجديد ــالعتبة الخضراء ــ بالمراكز الاستراتيجية التقليدية الهامة فى الدولة / العاصمة وهى مركز الحكم التقليدى فى القلعة ثم الجديد فى عابدين، والمركز الدينى فى الأزهر، و المركز العسكرى فى العباسية، ومركز المواصلات فى باب الحديد، و ارتبط هذا كله بالمنطقة الجديدة وقتها فيما بين القاهرة المعروفة و النيل شاملة شوارع عدلى وثروت وسليمان وشريف وقصر النيل والميادين الرابطة بينها.

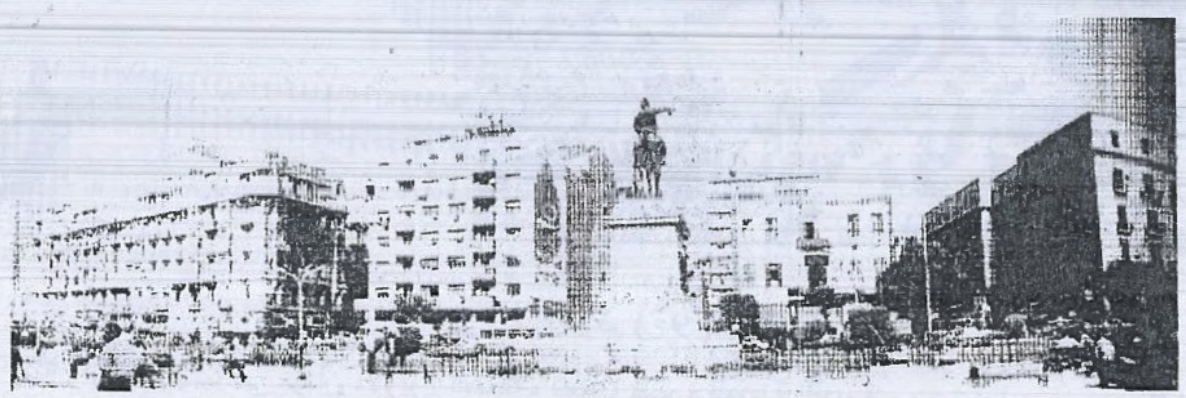

شكل رقم (8) ــ ميدان ابراهيم باشا بالقاهرة

بوابة الخروج من نطاق المدينة القديمة إلى نطاق المدينة الجديدة وقت اسماعيل باشا فى سبعينات القرن 19.

وقتها ظهرت القوانين المنظمة للعمران بما يخدم فكر التنمية آنذاك فى ارتفاعات المبانى المطلة على الشوارع المستحدثة، كما تخدم فكر الشكل العمرانى المستهدف ــ الأوروبى ــ بحيث تتواءم مع فكر ذى القرار ــ اسماعيل باشا ــ فى شكل التنمية العمرانية للعاصمة. وكان الفكر وقتها موجها لتسكين الطبقة المتوسطة فى تلك الواجهات الحديثة، مع ترك أواسط المدينة القديمة إلى الطبقات الأقل حظا فى التنمية. هذا مع التأكيد على مركزية العتبة الخضراء فى الخدمات و النشاط الاقتصادى. أى أن الصورة لم تكن اهتماما بالعمران بقدر ما هو اهتمام بتشكيل العمران، أى بالشكل و ليس بالوظيفة.

فى هذا المقام، تم إهمال المدينة القديمة و تركت وظائفها التقليدية أمام ضغوط سوق استعمالات الأراضى ، فتم تغييرها بعد إهمالها إلى متطلبات الوقت . و يعبر تمثال إبراهيم باشا فى ذلك الموقع بإعطاء ظهره للقديم من المدينة، و يتجه بوجهه نحو ما أنجزه اسماعيل باشا من أحياء جديدة فى القاهرة بدءً بذلك المكان و حتى النيل.

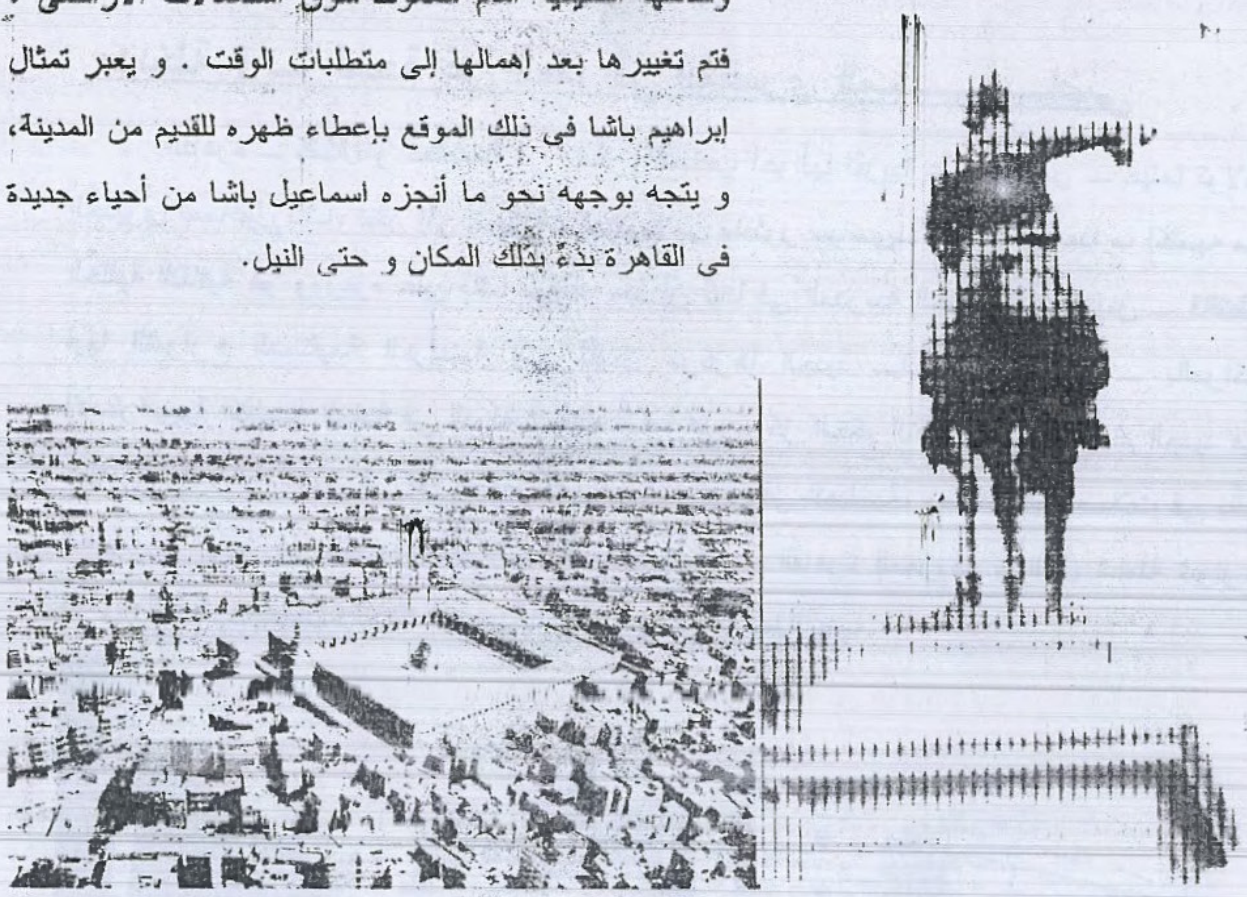

شكل رقم (9)

تمثال ابراهيم باشا فى ميدان الأوبرا السابقة، معطيا ظهره للمدينة القديمة ، و متجها ببصره و بإشارة من يده نحو امتداد العاصمة الجديد ــ و منطقة طولون القديمة المطلة على شارع ماراسينا الذى كان يمثل العصب الرئيسى فى القاهرة القديمة.

و جاء شارع ابراهيم باشا / الجمهورية حاليا ،و يمثل خط المواجهة الساخن، لكى يفصل بين القديم و الحديث فى القاهرة / العاصمة. ويماثل ذلك الفعل ، بصورة أو بأخرى ، ما تم عمله وقت إنشاء شارع ماراسينا بدءً بميدان القلعة و منتهيا بميدان السيدة زينب ، فاصلا بين مدينة القطائع و مسجدها الأثرى " ابن طولون" و بين الأحياء الجديدة " الحلمية الجديدة" ، ألتى أنشأها اسماعيل باشا وقتها. أوجد ذلك الفصل بين القديم والجديد

فى المدينة الطريق إلى عدم الاتزان العمرانى/الاجتماعى والمستمر حتى الآن، و أكد على الثنائية التقليدية وهى ما يطلق عليه القديم و الحديث ، أو ، " البلدى و الأفرنكى" .

قد يتنامى الاحساس بالاختلاف من منطقة لأخرى ، بحيث قد يؤدى فى النهاية إلى تنامى التركيز فى واحدة أو أكثر من المناطق . وعلى هذا تتميز إحدى تلك المناطق بتنامى الثراء، السلطة ، و الفخامة ـ prestige ـ و الناس هنا يتجهوا نحو التأكيد على مستوى معيشتهم المتوافق مع المؤسسات السائدة و الأساليب السلوكية المعمول بها فى المجتمع.

أما على الطرف الآخر ـ وتحت ظروف خاصة ـ البطالة ، الفشل، الفقر، قد تؤدى كلها إلى أشكال جديدة من التنظيمات الحياتية التى تتميز بالاقتصاد الهامشى ، مبدأ أخدم نفسك، والانعزالية الحياتية . و قد يؤدى هذا إلى الهبوط التدريجى بعيدا عن التماسك مع الآخرين. هؤلاء الناس يتشئوا لأنفسهم مجتمعاتهم الخاصة المحدودة التى توفر لهم مجالاتهم المعنية أو التى لها معنى عندهم، و التى من خلالها يستطيعون أن يتعاملوا مع مشكلاتهم اليومية (العشوائيات) .

ومع هذا فإن التعاون الإجتماعى قائم بين هاتين المجموعتين، المتناقضتين اقتصاديا، الثرية و الفقيرة ، على الرغم من اختلاف المكان لكل منهما. و لكن على أى الأحوال ، تتواجد جبهات تتقابل فيها هاتان المجموعتان فى نماذج فى الوقت المعاصر ،نسوق منها التالى :

جبهة رقم 1: المهندسين / امبابة

جبهة رقم 2 : الزمالك / بولاق

جبهة رقم 3: مصر الجديدة / الزيتون

جبهة رقم 4: جامعة القاهرة / صفط اللبن

و كلها تشترك فى تناقض ثقافى و اقتصادى و مستوى معيشى ، و لكن ما زالوا متجاورين متقابلين، بحيث يمكن أن يطلق عليهم " الضدين المتكاملين"فى المجتمع الواحد. فهم فى هذا

، مثل قطبى المغناطيس ، على قطعة واحدة يوجد المتضادين. وفى هذا تحدث الهجرات الداخلية، و يزداد التباعد حتى على المستوى الداخلى ، وهنا يمكن أن يطلق عليهم " الأقلية الإثنية".

وفى القرن العشرين ، بدأ اهتمام الدولة الفعلى الوظيفى بمشروعات الإسكان فى سنه 1932 ببناء 62 وحدة سكنية للعمال فى ثلاث عمارات بشارع القصر العينى . وفى فترة الحرب العالمية الثانية استفادت قوات الحلفاء فى منشآتها بسعر فسطا كبيرا من مواد البناء و العمالة مما أدى إلى ارتفاع اسعار الإنشاء و الأجور و بالتالى ارتفاع التكلفة الكلية للمساكن ، وبالتالى نضب الاهتمام.

فى فترة ما بعد بداية الثورة فى 1952، لم تكن هناك سياسة واضحة و محددة لقطاع الإسكان ــ كشاهد رئيسى للعمران فى مصر ، وكان للقطاع الخاص الدور الأكبر فى توفير الوحدات السكنية . وحتى تلك الفترة اقتصر دور الدولة على بناء 1200 وحدة سكنية . وفى عام 1954 بدأ التدخل الفعلى الثانى للدولة فى مجال الإسكان. اعطت الدولة اهتماما خاصا " للإسكان الشعبى " حيث تحملت فيه المسئولية الكاملة فى إقامة هذه المشروعات وصيانتها. على ذلك نشأت عدة مراكز سكنية لتجميع العمال القاطنين فى أماكن متدهورة متفرقة فى العاصمة لإسكانهم فى أماكن محيطة بها فى حلوان و شبرا وعين الصيرة وغيرها. ولاشك أن الدافع وقتها كان أحاديا اجتماعيا فى الظاهر، أو ثنائيا اجتماعيا/سياسيا فى الواقع ، للدفعات الإسكانية وقتها. لكن ــ للمرة الثانية بعد اسماعيل باشا فى الأولى ــ بالتأكيد لم يكن منظوميا من الناحية البيئية المتكاملة للعاصمة. فالمناطق السكنية زرعت قسرا فى مناطق كانت متوفرة فضاءً فى مساحتها وتمثل جيوبا خاوية فى نسيج القاهرة المحيط بالقلب، و نقلت المجموعات السكانية قسرا إلى تلك المناطق للإيواء فى عمارات سابقة التصميم.

لم تبدأ الدولة فى وضع خطة إسكان محددة إلا فى عام 1960 ــ وهى أولى سنوات الخطة الخمسية الأولى، خصص للإسكان الحضرى 89 ألف وحدة سكنية ما بين "اقتصادى"، و" متوسط "، و " فوق متوسط ".

صاحبت كل من تلك النشاطات العمرانية محاولات تنظيمية من خلال قوانين أحادية المنهج لإعطاء الشكل المطلوب فى الشوارع و المواصلات و الاسكان والإدارات و التعليم و الخدمات كل فى اتجاهه وحسب نشاطه. ولم تفقد المحاولات حماسها ــ منذ القرن الماضى ــ فى خضم التشكلات القديمة ، وسلكت فى المناطق الحديثة عدة محاولات منها فكرة "إبنزر هوارد" فى تصميم " المدن الحدائقية " فى منطقة جاردن سيتى ، والاحياء الجديدة مثل ما كانت فى "مصر الجديدة / هليوبوليس" حيث بنيت على 12000 فدان ، وضاحية المعادى على مساحة 1000 فدان ، و" حدائق القبة " على 110 فدان فى بدايات القرن العشرين و كل منها قام على فكرة العمران ذو التخطيط المسبق والهادف إلى الاكتمال فى التكوين و فى الخدمات . وحتى ذلك الوقت اعتمد التخطيط على نشاطات شخصية / فردية من مسئولى الدولة ، ظهر منها الاسكان المرتبط بالتصنيع ، و الخدمات المقدمة من خلال الفرص المتاحة لأصحاب الأعمال، وكثافات سكانية عالية ذات مشاكل صحية وهندسية مع عدم وجود فراغات مفتوحة فى النسيج العمرانى المعتمد. كانت صبغة القوانين المصاحبة تتسم بالحدية فى التطبيق وليس بصورة تفاوضية ، وأحيانا معوقة للتطبيق ، فى البيئات المتعددة .

الإسكان هو أحد القطاعات الهامة و الأساسية فى العمران، ليس فقط لأنه يمثل الحجم الأكبر فى الكتلة المبنية، و لكنه يمثل الاهتمام الأكبر لسكانها . وكان الاعتماد كله على أن صاحب الملك هو المسئول عن إنشاء و ادارة المبنى . ينطبق هذا على المناطق الموسرة ــ فى القاهرة كانت ملاصقة لشواطئ النيل ــ و أيضا يسرى هذا على مناطق

إسكان الطبقة المتوسطة والتى ظهرت بعد إصلاحات محمد على فى أواسط القرن التاسع عشر. ثم شغل عمران الطبقة المتوسطة معظم المناطق الأقل تميزا فى العمران الشاغل للسهل الفيضى لمصر ، مدنها وقراها. أما إسكان الفقراء ــ وهو الشريحة الثالثة فى ثلاثية شرائح المجتمع التقليدى المصرى ــ فقد شغل هوامش المواقع الغنية و المتوسطة، سواء بينيا أو طرفيا .

وبدخول السيارة إلى مصر فى حوالى 1917، بدات الأنظار تتجه إلى التخطيط المناسب لتحركاتها الآلية ذات الاحتراق الداخلى . ثم و من بعد فترة التأثيرات المتتابعة للحرب العالمية الثانية ــ مفصل التاريخ ــ وحقبة عدم الاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط و افريقيا، اتجه السكان إلى الخروج من المناطق القديمة المزدحمة ذات المشاكل المتعددة عابرة خطوط المواجهة الساخنة بين القديم و الحديث، نحو الأطراف . تأثرت التشكيلات العمرانية بقيم تتوافق مع كل من حركة السيارات و الحراك الاجتماعى المصاحب للثروات الجديدة والمناصب المستحدثة فى الإدارات الحكومية وقتها . وظهرت مناطق كاملة ــ بالتوازى مع الضواحى الرسمية التى كان قد تم إقامتها مثل مصر الجديدة والمعادى وجاردن سيتى و الهرم ــ ذات تقسيمات غير رسمية تناسب السيارات فى الأساس مثل مناطق غرب القاهرة ، و منطقة شارع فيصل بصورة أوضح. و ترك وسط المدينة القديم ،عموما لذى الدخول و الثقافة الأقل, لتتحول وظيفة أراضيها عما نشأت عليه وإلى ما آلت إليه من احتواء صناعات صغيرة و حرفية و تحويلية وإسكان مهمش ، تاركة مشكلة مستعصية ، تتطلب من جميع التخصصات العلمية والبيئية التكاتف لحلها . و يكمن التحدى فى إعادة تخطيط تلك المناطق مع توزيع المسئوليات الإدارية بما يضمن للمناطق التواؤم مع ما يناسبها من وظائف.

مداخة 2 ـ الحاضـــــــــر العمرانى

من المنطقى أن يستطيع مخططو المدن تشكيل تصميماتهم بخطط إيجابية ، بما يعنى إنشاء و تشغيل أماكن الخدمات العامة بما تسمح بها الموارد ، و بتشريعات محددة مثل كود المبانى و كود الصحة و ذوى الاحتياجات الخاصة، وكود الطاقة والحريق وغيرها، و بأنظمة فرعية للتحكم فى الامتدادات الإسكانية ، و بواسطة ضرائب تفرض فى صالح أنشطة خاصة أو فى تحديدها، وذلك تعاملا مع تقييم الأثر البيئى للمشروعات حتى تكون المحصلة مجتمعا متزنا بيئيا ، تتزن فيه المدخلات من الموارد المتاحة ، والمخرجات من الأشكال التنموية المعاصرة . و لكن يرى الاجتماعيون أن اختلال التوازن البيئى الحادث حاليا ، هو نتاج انعكاس القيم الاجتماعية السائدة عليها. و أن مشكلات البيئة العمرانية هى نتاج مشكلة اجتماعية و اقتصادية بالدرجة الأولى قبل أن تكون مشكلة ممارسة مهنية أو مشكلة معمارية أو تخطيطية أو هى إنسانية قبل أن تكون مادية، أو بلغة اليوم الإلكترونية هى مشكلة أصول ناعمة وليست مشكلة أصول جامدة. فالبيئات الإيكولوجية الإنسانية هى نتاج بشرى، و بالقيم الإنسانية تتكون البيئة و يعاد تشكيلها و توجيهها طبقا لأنماط السلوك ونوعيته، كذلك فإن تنسيق الفراغات العمرانية يجب أن ينال الاهتمام الكافى سواء من جانب المخطط أو من جانب السكان أنفسهم، أما إهمال الفراغات العمرانية و تحويلها فى المناطق الموسرة إلى مستودعات للتجارة أو استراحات كمقاهى أو فى المناطق المتدنية إلى الاتجار فى المواد الممنوعة و السلوكيات الضارة ، هذا بالإضافة إلى ما تسببه هذه الاشغالات الدائمة للفراغات العمرانية من إعاقة لحركة المشاة و المرور، إضافة إلى قيم التلوث البصرى نتيجة الإشغال المستمر للفراغ العمرانى. ولا شك أن الاتزان البيئى و العمرانى هو مجمل كل تلك المقولات.

مداخلة 3 ــ مفهوم concept التشكيل العمرانى/ الحضرى:

قد يمكن وصف الحى العمرانى بأنه" منظومة تشكيلية "مرتبطة بفراغ معين ومكان لنشاط ما. التشكيلات العمرانية تتشكل من فراغات و أماكن مصاحبة لأنشطة تجرى فيها. يمكن النظر للحى (التشكيل العمرانى) على أنها أصغر وحدة اجتماعية مبنية يمكن اعتبار جودة الحياة فيها موجودة أو غائبة أو يمكن تحسينها.

الحى كامل التطور، هو الذى يتميز بوضوح بيئى واقعى ، وذو نشاط دائم. البيئة الواقعية هى التى تتميز بشبكة اجتماعية قوية بين السكان. إنها تلك المكونات المعنية للبيئة المبنية ، حيث تجرى السلوكيات و النشاطات فى الفراغات العمرانية و الأمكنة، تتم العلاقات الاجتماعية والتواصل ، أو لاتتم.

فى الحى ــ وهو العلاقة النمطية بين الإنسان و المبانى ، و هو فى الواقع الإيكواوجيا الإنسانية ــ ، وجود جودة الحياة الحضرية أو عدمها ، تظهر كمشكلة معقدة للعلاقة بين الانسان و البيئة ، ولهذا ، بالتالى ، العلاقة بين الأفراد، كوحدة صغيرة من التشكيل الكبير للمدينة. إنها ليست فقط المشاكل التى تخص جودة الحياة فى المدينة على المستوى الأعلى، بل أيضا متصلة بالمشاكل على المستوى الأقل .

إن تجاهل مشاكل المستويات الأقل و الأبسط ضمن المستويات المتعددة فى المدينة، وما بها من تفاصيل التصميم الحضري ، لصالح استعمالات الأراضى للمستويات الأعلى و مواقعها ــ مصاحبة للبنية الفنية التحتية ــ لها من التأثيرات السيئة الكثير على جودة الحياة فى المدينة. هذا لأن ، سكان المدينة يكتسبوا أحقيتهم فى مدينتهم ، فقط من خلال الاحداث اليومية التى تتم فى فراغات و أماكن بعينها، أى فى الأحياء، ومن خلال توزيعات الكتل السكنية فى الأحياء فهى تؤكد ذاتيهم اجتماعيا و فراغيا. وعلى هذا فإن شكل الأحياء و تصميمها لها اثرها الكبير على استقرار جودة الحياة الحضرية .

4. علاقة الإنسان بالبيئة

4-1 الجانب الاجتماعى

مظهر الأماكن المفتوحة فى المناطق السكنية هى ظاهرة "ثراء"، تعطى التأثير بأنها معقمة و جميلة. و المسافة الاجتماعية social distance تم التعبير عن وجودها بصورة واضحة. فى عيون ساكني تلك الأماكن، تتضح قيمتها من خلال الهدوء و السكينة، وفى وضوح المكانة الاجتماعية ، و النجاح المادى ، وأنهم قد حصلوا على استثمارات جيدة . لا يوجد ما يشير الى أن تلك المناطق تنتسب إلى ما كان يأمل فيه أى من المخططين المعماريين

أما المناطق المفتوحة فى معظم المناطق السكنية القديمة/ التقليدية ، حيث يعيش الفقراء، الأقل حظا من السكان، يظهر الناس الذين يستخدمونها لأنفسهم صورة أوضح من الحياة و الحيوية فيها. وسبب ذلك الوحيد هو، أن اولئك السكان ــ الفقراء ــ هم أكثر ارتباطا فى حريتهم الاجتماعية فى التحرك، ولهذا فهم أكثر ارتباطا بما يحيطهم فى المنطقة. ولذلك فهى أكثر أهمية أن يزودوا بمعلومات تساعدهم على فهم أكثر أو لكى يصنعوا أحداثا بعينها أو مواقف على خلفيات أحسن. و خارج منطقتهم ــ أو مايشابهها ــ هم يشعرون بأنهم غرباء و يصبح المكان مجرد "مكان للتجوال" . والصورتين التاليتين يظهر بهما التشكيل الثرى للعمران ــ حى جاردن سيتى ــ والتشكيل الأفقر ــ حى فيصل بالجيزة.

بعد التحولات التى حدثت فى المجتمع، و من الطبيعى أن تتغير الأمور، لم تعد الأفراح والمآتم تجرى فى المنازل أو على أسطح البيوت كما كان يحدث فى الماضى، لا بل و لم تعد المقابلات و الصالونات تتم كما كان فى الماضى ، و لا التسلية، بل ولا حتى فى الشوارع كما كانت تتم المآتم. و أصبحت أماكن مخصصة لأى من تلك النشاطات تتم فى الأحياء، بل و يتم الإنتقال إليها من أحياء أخرى بعيدة. لقد أصبحت

الشوارع و الميادين أماكن وظيفية تستخدم للحركة الميكانيكية و لم تعد مفضلة للجمهور كى يلتقى فيها.

هؤلاء قاطنى المناطق الفقيرة ، يستخدمون مناطقهم المفتوحة بقدر أكثر حيوية لاستخداماتهم المعيشية. و السبب فى ذلك أنهم فى مساكنهم محدودى الحركة، و لذلك فهم يعتمدون على تلك الأماكن المفتوحة لممارسة حرياتهم الانسانية . و هم خارج مناطقهم السكنية ، يشعرون بالغربة. و على هذا ، فالمشاكل تتعاظم إذا تم انتقالهم إلى مناطق جديدة ذات مبانى عالية ضخمة مخالفة لما تشكلوا عليها سابقا، فالغربة هنا تعظم من مشاكلهم لعدم وجود الشبكة الاجتماعية التى كانت تضمهم.

4-2 التأثيرات النطاقية على " جودة الحياة "

هى العوامل التى تهم المدينة ككل، و لتلك التى لا تتأثر بالجمهور الحضرى. هذه العوامل تقوم على قرارات أخذت بواسطة القطاع الخاص و الحكومة على مستوى قومى وعالمى.

جودة الحياة فى بعض المناطق خارج نطاق معين ، اوفى بعض المدن، قد تبدو غير ذات اهمية عند المؤسسات الحكومية أو مؤسسات الأعمال التى تمارس السلطة الاقتصادية. وحتى لبعض المدن المحظوظة ، جودة الحياة ، حيث يجب أن يكون لها الأهمية القصوى لموظفى المؤسسات الهامة، قد لا تعطى أهمية إلى القليل أو لا أهمية على الاطلاق.

ومع هذا ، قد توجد بعض المراكز فى المدن، التى تنعم بالاهتمام الانسانى .

تنمية النطاقات الاقتصادية الإقليمية و الحضرية ، تؤدى إلى الهجرات الداخلية ــ وقد تغير الأعداد الكبيرة من الهجرات من شخصية المكان أو المدينة، و عليه تصبح ذات

أهمية فى الحياة الحضرية. وعلية تتأثر تلك النطاقات بالهجرات الوافدة و كذلك التثقيف الفرضى أو الطوعى.

3-4 الجانب الأحيائى/ مناخى

يمثل الجانب الفيزيقى للشارع المصرى ما قيمته حوالى 30 % من مسطح المدينة. عادة ما يكون ، حاليا، مكسوًا بطبقاتٍ ــ قد تكون عديدة ــ من الإسفلت الأسود ، وارتفعت نسبة مسطح الإسفلت حاليا الى ما يمكن حسابه بحوالى 40 % من مسطح المدينة ــ القاهرة . ولا شك أن هذا كان ضروريا بعد أن ازدادت عدد السيارات فى الدولة . ورغم قلة الإحصائيات المعلنة ، فقد أستطيع أن أزعم أن فى القاهرة الكبرى – مثلا – حاليا حوالى ثلاث ملايين سيارة تجرى على مسطح حوالى المائة كيلومتر مربع من إسفلت الشوارع. وهذا يعنى تقريبا أن كل ثلاث سيارات تجرى على مائة متر مربع. أى أن ما يخص كل سيارة تقريبا هو ثلاثون مترا مربعة.

ما يعنينا من الفقرة السابقة ، أن ذلك المسطح من الإسفلت الأسود يستقبل أثناء النهار كل أشعة الشمس الحرارية تقريبا ولا يعكس إلا نسبة ضئيلة تتراوح بين 2% و 10% اعتمادا على شدة اللون الأسود و مكونات الخلطة الإسفلتية ، يستقبل ما يوازى طاقة قدرها ما بين 270 الى 400 وات على المتر المربع فى اليوم ، وهى طاقة مضافة خصوصا فى فترة الصيف الممتدة حوالى ثمانية أشهر فى السنة. إضافية فوق حرارة الهواء الخاصة بالمنطقة والتى تستقبل من الأشعة المشتتة ما بين 40 الى 70 وات / المتر المربع فى اليوم، وفوق الحرارة الناتجة من الاحتراق الداخلى لمولدات الحركة فى السيارات و غيرها من الآلات المنتجة للحرارة. هذا ، ناهيك عن الجزيرة الهوائية الدافئة المتكونة عادة فوق المدن الصحراوية و التى تمثل القاهرة إحدى تلك المدن.

وبعملية حسابية بسيطة يمكن استنتاج الطاقة الكلية المستوعبة بواسطة إسفلت الشوارع فى مدينة مثل القاهرة ، فنجد أن المائة كيلومتر مربع من الشوارع تستقبل ما قيمته كأعلى تقدير ، و أقل تقدير ما بين :

(10000× 10000) متر × (400+ 70) وات = 47000 مليون وات فى اليوم

(10000× 10000) متر × (270+ 40) وات = 31000 مليون وات فى اليوم

ولابد أن تكون تلك الكمية من الطاقة ذات أهمية فى الحسابات العامة عند إنشاء المدن ، أو عند الاهتمام بها بيئيا. وهذا بالتأكيد ، ومن الواجب أن نعمل على تقليله بكل السبل ، يفرض علينا التوجه نحو حل لتقليل الطاقة الساقطة على المدينة ، و الشوارع بصورة خاصة ، بواسطة التشجير بالصورة الصحيحة ، وتغطية المسطح بالكامل ، من أبسطها.

من دراسة أجراها أحد طلبتى للحصول على درجة الدكتوراه فى معهد الدراسات البيئية، وألقى بها بحثا فى مؤتمر كلية الهندسة بجامعة عين شمس، و من خلال العمل على الحاسوب مدخلا البيانات اللازمة لاستنتاج الخط البيانى المعبر عن الجزيرة الدافئة فوق القاهرة، توصل إلى ذلك الخط البيانى التالى ــ شكل رقم 3 ــ موضحا فيه درجة الاكتساب الحرارى فى المدينة، مارا بها من شرقها إلى غربها. وأوضحت النتيجة أن مناطق الأطراف ــ 6 أكتوبر و مدينة نصر ــ تكتسب من الحرارة الزائدة عن حدود الراحة الحرارية التى يتحملها الإنسان العادى. و هذا مما يستدعى التفكير فى تخفيض الكثافة البنائية فى تلك الأماكن ، او تكثيف العناصر المظللة للشوارع و المبانى، أو أنشاء المناطق الخضرية فى أواسطها ، كما يجرى فى مدن أخرى من العالم ، و ذلك دفعا لتقليل الأحمال الحرارية الزائدة.

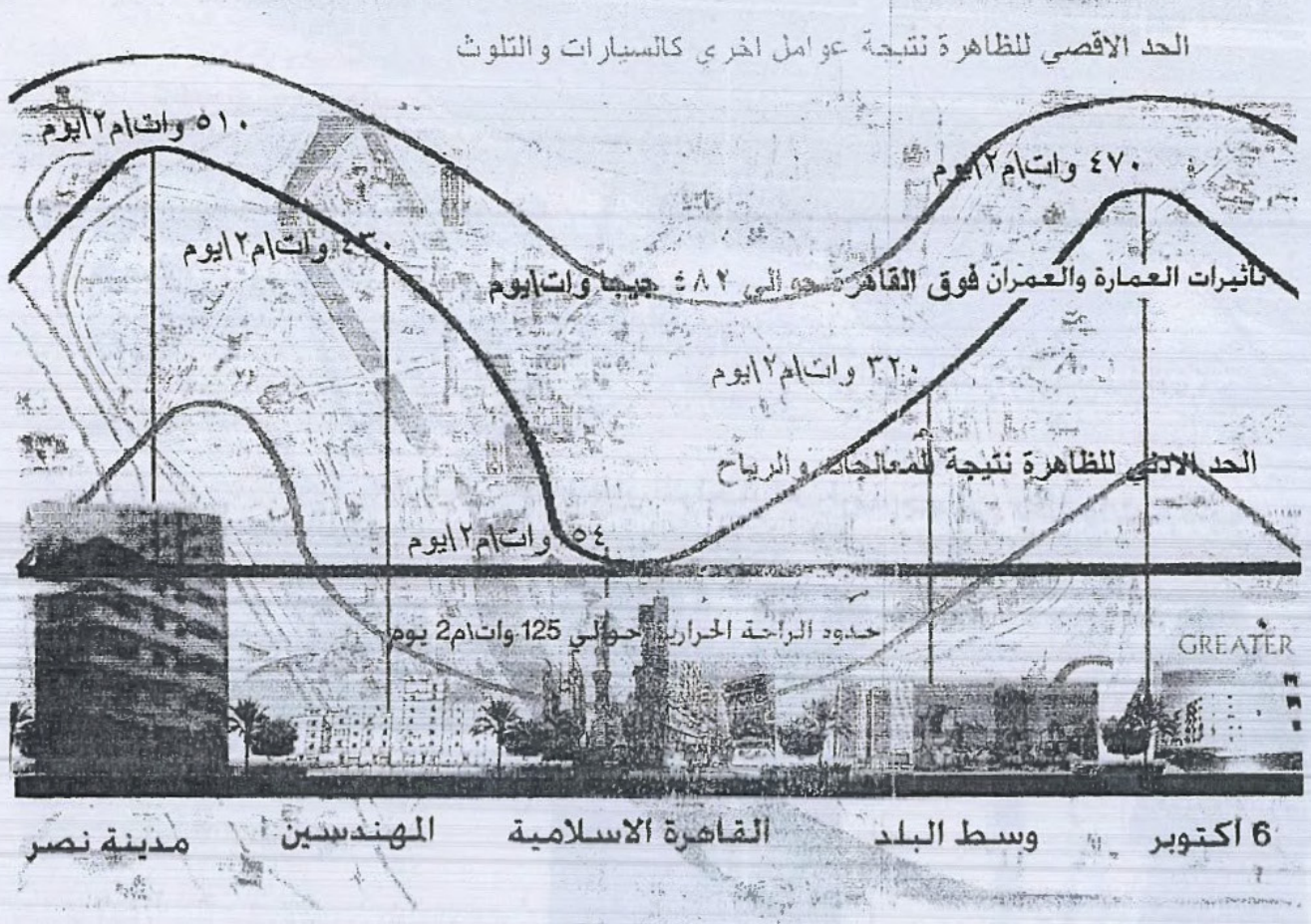

شكل رقم 10 ــ منحنى الحرارة المكتسبة لأجزاء من القاهرة.

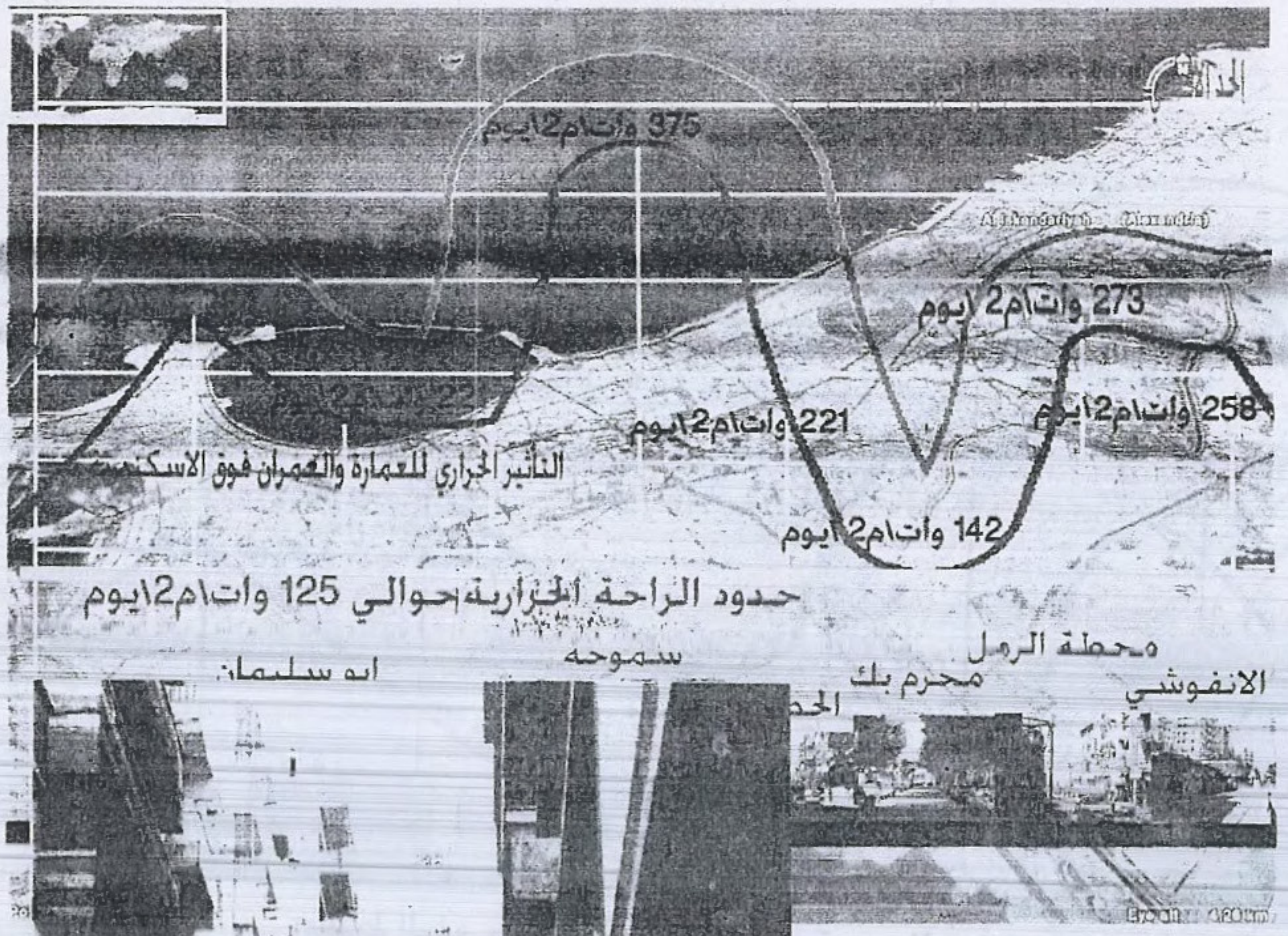

شكل رقم (11)

أبيض متوسط، و لكن تقترب حرارتها في أجزاء منها من حدود الراحة الحرارية ، مثل في محرم بك، و في أجزاء أخرى ترتفع كثيرا مثلما في سموحة.

وفي أجزاء أخرى تزداد المباني في ارتفاعاتها فيما يتعارض مع " جودة الحياة الحضرية".

نموذج لجودة الحياة فى مصر

من دراسة قمت بها مع طلبة الدكتوراه فى معهد البيئة ــ جامعة عين شمس ،فى عام 2005 ، وكان هدف الدراسة استبيان مدى تفاعل الجمهور بجودة الحياة فى منطقته من المدينة. واختير وتتها مدينتين ــ بسبب قصر وقت الفصل الدراسى بالجامعة ــ و كانت المدينتين هما القاهرة و الاسكندرية، كونهما أكثر تكدسا بالسكان فى الجمهورية، و يمثلان الحالة الاقصى و الأولى بالبحث عن طريق الاستبيان ببعض الجمل البسيطة و المحددة، و التى تدخل فى الاختصاص بجودة الحياة. كانت تلك الجمل هى الآتى :ــ

1- مدينة نصر - القاهرة

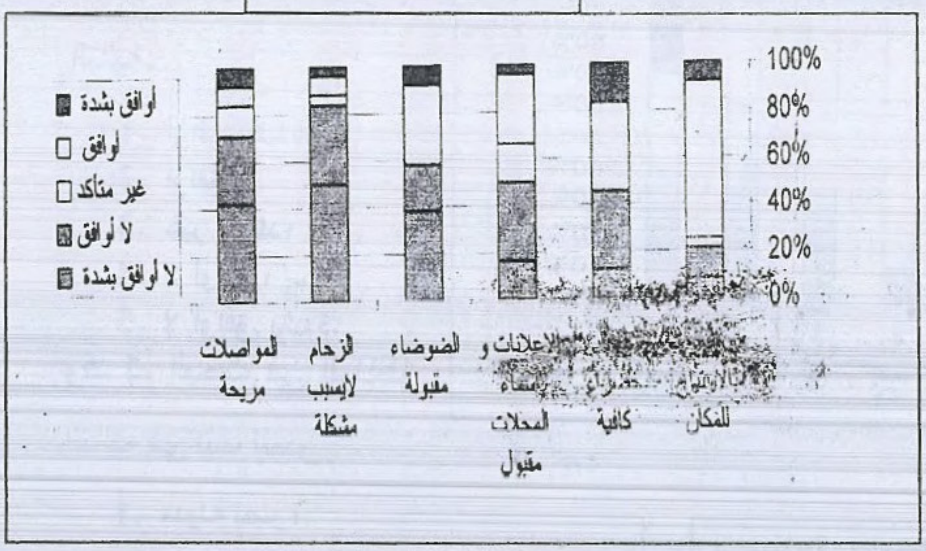

2- حلوان و المعادى

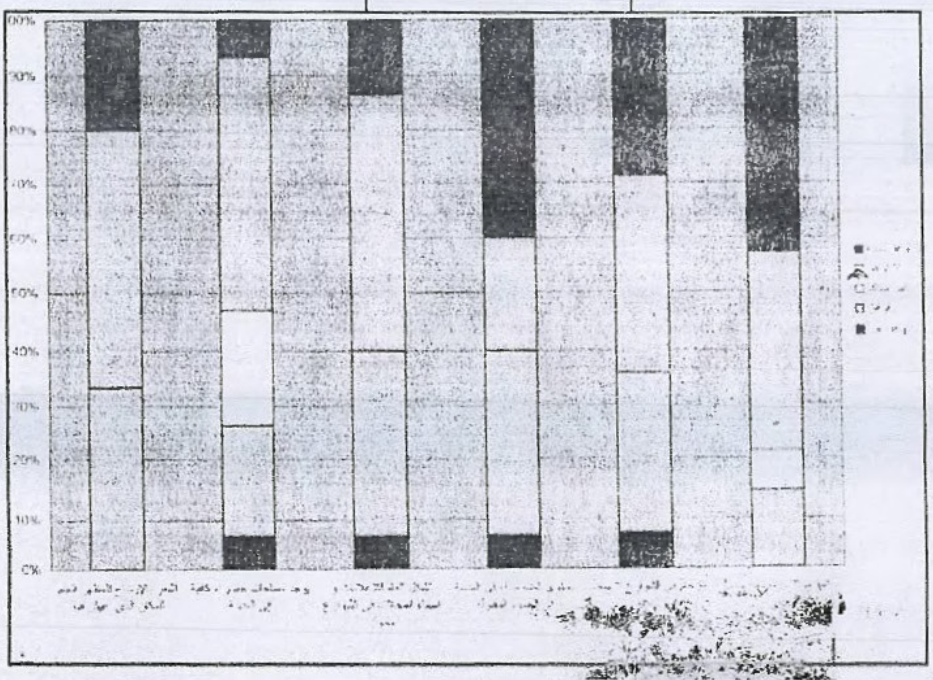

1. أشعر بالارتياح للمكان؛
2. المساحات الخضراء كافية فى المنطقة؛
3. الاعلانات و أسماء المحلات ذات شكل مقبول؛
4. الضوضاء المحيطة مقبولة؛
5. الزحام لا يسبب مشكلة ؛
6. المواصلات مريحة.

وكان على الجمهور الاجابة باحد الردود التالية:

1. أوافق بشدة؛
2. أوافق؛
3. غير متأكد؛
4. لا أوافق؛
5. **لا أوافق بشدة.**

وقد تم البحث فى المناطق التالية فى تلك المدن:

1. مدينة نصر؛
2. حلوان والمعادى؛
3. عين شمس و المطرية؛
4. سموحة – الاسكندرية.

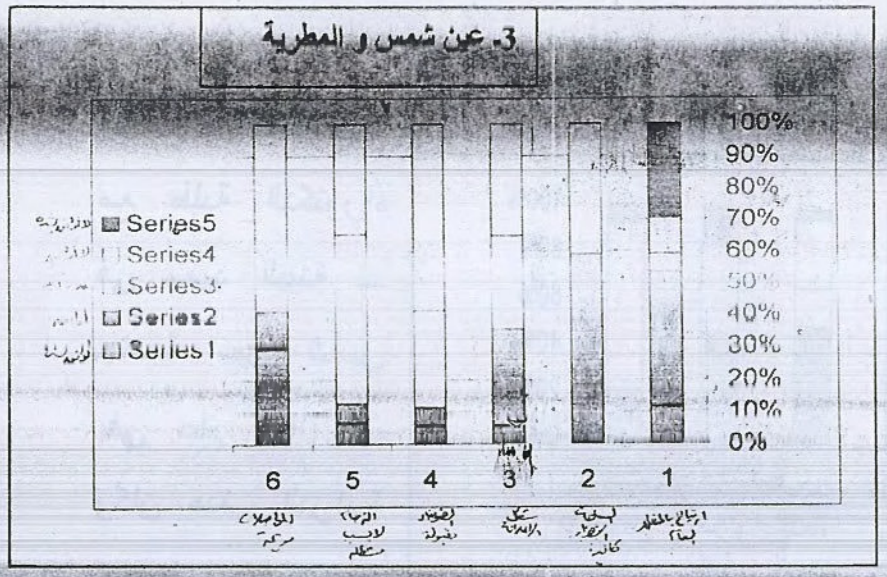

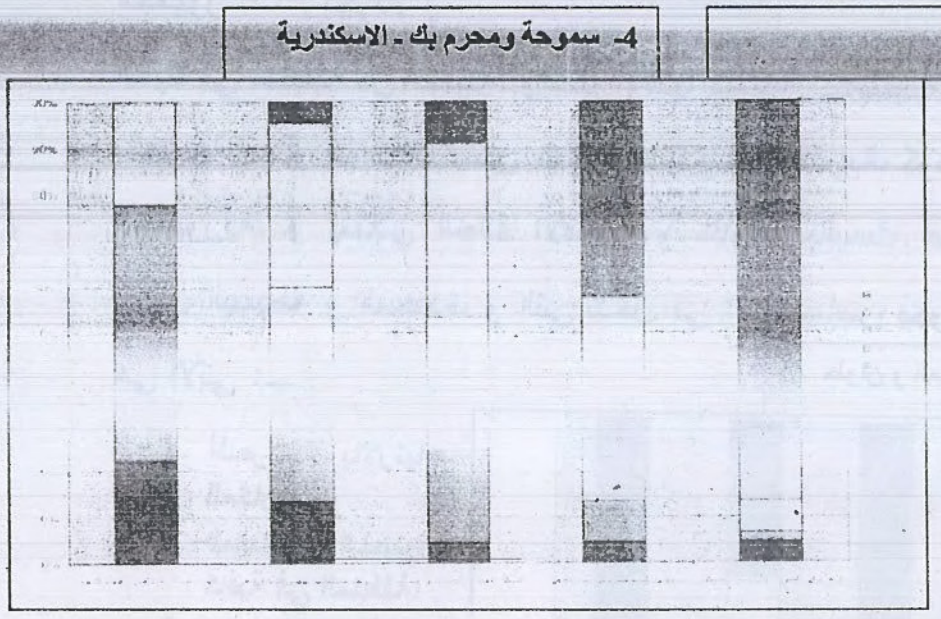

كانت النتيجة فى المناطق الأربع كالموضح فى الرسومات البيانية المرفقة، كالتالى :

	مصر الجديدة	حلوان و المعادى	عين شمس والمطرية	سموحة/الاسكندرية
أشعر بالارتياح	[redacted]	33%	41%	55%
مساحات خضراء كافية	39%	20%	40%	26%
الاعلانات و اسماء المحلات مقبول	25%	33%	30%	20%
الضوضاء مقبولة	30%	33%	6%	10%
الزحام لا يسبب مشكلة	7%	29%	6%	2%
الموصلات مريحة	6%	14%	12%	

جدول 1

فى الجدول 1 ، كانت إجابات الجمهور بالموافقة على الست جمل فى الاستبيان، على المناطق الأربع، كما هى موضحة. وتعدت النسب 50% فى موضوع واحد فقط فى منطقتين هما مصر الجديدة و سموحة بالإسكندرية، ولم تصل إلى 40% فى موضوع المساحات الخضراء إلا فى منطقتين هما مصر الجديدة وعين شمس، وتصل إلى حوالى 30% فى موضوع الرضا عن الإعلانات فى منطقتين هما حلوان وعين شمس، و با لنسبة للضوضاء كانت النسبة حوالى 30% فى مصر الجديدة وحلوان ، وعن الزحام فقد وصلت النسبة إلى حوالى 30% فى حلوان فقط،أما عن المواصلات العامة فقد تدنت النسبة لكى تصل فى أحسن صورها إلى 14% فى حلوان.

إيضاح:

تتركز مفاهيم جودة الحياة بداية فى المناطق المفتوحة، باعتبارها الإرث الأهم لحياة المجتمع. وفى التالى، نحاول توضيح بعض تلك الفاهيم .

المناطق المفتوحة في المجاورات الحضرية

1-مقدمة:

تصميم المناطق المفتوحة في المجاورات الحضرية، هو نموذج لمسألة العلاقة بين الإنسان والبيئة، والسبب في هذا هو إحتوائه على ما يسمى بالثلاث أسئلة الرئيسية الخاصة بالتفاعل بين الإنسان والبيئة، وهي التالية :

1-ما هي الصفات المميزة للبشر باعتبارهم أعضاء في نفس النوع، ويشكلون جماعات مختلفة، تؤثر على تشكيل البيئات المبنية؟

2-ما هي تأثير البيئات المبنية على السلوك الإنساني والمزاج والمعيشة الجيدة ؟

3-يترتب على ذلك السؤال التالي: إذا نظرنا للتفاعل بين الإنسان والبيئة المحيطة فبالتأكيد سنجد آليات ما تربط بينهما. ما هي هذه الميكانيزمات؟

وستواجهنا هذه الأسئلة كثيرا في النص التالي.

2 -المفاهيم المستخدمة:

أثناء تناول موضوع العلاقة بين الإنسان والبيئة، والثلاثة أسئلة السابقة، سوف تستخدم عدد من المفاهيم، منهم واحد جدير بالتوضيح، ضمن مجموعة من المفاهيم المفيدة التى يمكن استخدامها في التعميم وبشكل جيد. إن أسلوب وطرق التفكير قد تكون أهم من أي نتائج.

وتلك المفاهيم الأساسية هى التالية:

1- التأكيد على النشاطات وأنظمتها. وهي نقطة بداية جيدة حيث أنها مرتبطة بأسلوب الحياة وبشكل عام بالثقافة. ولهذه الثقافة تأثير أساسي على السلوك والنشاطات في أي سياق .

2- إن السياق – فى البند السابق – والأنظمة التي تتحكم فيه أهم من الفراغ المفتوح. كما أن الأشياء المحيطة مرتبطة بأنظمة بينها وبين بعضها ولا يمكن وجودها بمعزل عن بعضها البعض.

3- أهمية الأشياء التي يفضلها الشخص واختياراته ومفهوم البيئات المدعمة. إن التأثير الأكبر للبيئة على الإنسان يكون من خلال الاختيارات. فالأشياء المحيطة لها التأثير الأكبر على الجودة البيئية. يمكن اعتبار هذا ملخصا على اعتبار طبيعة المتغيرات وترتيبها من حيث الأهمية ومن حيث كونها سلبيات طاردة أو ايجابيات جاذبة . إن السياقات التي يتم تفضيلها واختيارها والتي تؤدي وظيفتها بنجاح تكون كذلك لأنها تكون مساعدة للنشاطات والسلوكيات المطلوبة، ويمكننا أيضا أن نناقش الآليات التي تكون من خلالها الأشياء المحيطة ناجحة في المساعدة. من خلال هذه الاعتبارات يمكن للشخص أن يبدأ في تحديد المكونات المحددة لدرجة جودة البيئة والسمات المميزة والتي يمكن تطبيقها في السياقات الفرعية الخاصة بالنشاطات والمواقف موضع الاهتمام، وبخاصة تلك التي يقوم المصمم بوضعها والتحكم فيها.

3النشاطات وأنظمتها:

إن النشاطات وأنظمتها تعتبر نقطة بداية مباشرة مرتبطة بأسلوب الحياة والثقافة بشكل عام. إن النشاطات ليست مقتصرة على ما هو واضح وفعال لكنها تشمل أيضا

ما هو خفي أو ضمني؛ ويمكن فهم النشاط من خلال ملاحظة ما يحدث من خلاله والنشاطات المصاحبة وكيفية تشكيلها داخل نظام ما ومعنى هذا النشاط .

إن مفهوم الوظيفة الضمنية هام جدا ومفيد، عندما نطبقه على مفهوم الاستخدام، يؤدي بنا إلى النتيجة التي تقول أن المناطق المفتوحة، أو أي وضعية أخرى للمباني، قد تكون هامة حتى لو لم تكن تستخدم في مفاهيم مفيدة. إن مجرد وجود الأسواق والحدائق والأماكن الترويحية يمكن أن يساعد في حالات التواصل أو التفاعل والتعرف على الهوية والصورة المناسبة أو الجودة البيئية الخ .

عندما نضع في اعتبارنا النشاطات وأنظمتها، نلاحظ أيضا خصائصها النشطة وسماتها الزائلة أو المؤقتة. سؤال هام في هذا السياق هو "من يفعل ماذا؟ وأين ومتى؟ بغض النظر عن "بمن ولماذا". إن البيئة التي تم بناؤها يمكن إدراكها بشكل مفيد على أنها تنظيم للفراغ والزمان والمعنى والتواصل .

الأنشطة نفسها تميل إلى أن تكون أقل تنوعا من تنوع الطرق التي تتم بها وطرق تجميعها في أنظمة وتنوع معانيها. وهذه النقطة الأخيرة هي التي تقود إلى التنوع في النشاطات والتفضيلات ووضعية المباني بالنسبة إلى بعضها البعض والتنظيمات الفرعية الخ. حينئذ يكون هذا التنوع مشكلة كبرى أثناء الأبحاث والتصميم.

وهذه المتغيرات مرتبطة بمتغيرات المجموعة تحت البحث . ما هي السمات المميزة للمجموعات المرتبطة بهذا الموضوع ؟ بشكل عام، فإن سمات مميزة مثل الثقافة العامة والمشاركة في جماعات صغيرة متعددة والمرحلة العمرية والسن والجنس والأدوار والتعليم والمهنة والجماعات العرقية وغيرها من السمات السكانية والثقافية والاجتماعية الاقتصادية يجب أن نضعها في الاعتبار. وتلعب المتغيرات الفردية والخلفيات والتاريخ دورا هاما في هذا السياق. وبشكل عام فإن المتغيرات

المعيارية الاجتماعية والاقتصادية تكون غير مفيدة في الأغلب، ولكنها تميل إلى أن تكون مساعدة وليست محددة. لكن السمات الأولى هامة ومؤثرة لأنها تؤثر على أسلوب حياة الأفراد. وبشكل متزايد يظهر أن أسلوب الحياة هو أكثر المفاهيم فائدة حيث أنه يندرج تحته معظم المفاهيم الأخرى. إن أسلوب الحياة يمثل اختيار بين طرق متعددة لتعيين المصادر المتاحة .

إن أسلوب الحياة يؤثر على النشاطات بشكل مباشر وليس فقط من خلال عوامل غير ظاهرة. في الحالة التي نتناولها حاليا، يجب أن نضع في اعتبارنا تأثير رياضة الجري والأشكال المتعددة من الأنشطة الترويحية مثل ما نرى فى مقهى عام، ولعب الأطفال وعضوية النادي إلخ. كما سنرى فيما بعد فإن كل من هذه العوامل ستؤدي إلى عدة أشكال من وضعيات المباني. إن أسلوب الحياة وبشكل عام الثقافة لهما تأثير على المجموعات التي تعتبر نفسها متماثلة، وهو المصطلح الذي أطلق عليه التماثل الواعى. إن وجود جماعات معينة في مواقف معينة ونشاطاتهم من الممكن أن يجذب جماعات أخرى أو ينفرها؛ وهذا يؤثر على طرق استخدام الفراغات المتاحة. من الممكن أن يحدث الانفصال في الفراغات، مثل الجماعات المختلفة التى تستخدم وضعيات مختلفة لممارسة نفس الأنشطة، وبالطبع تستخدم وضعيات مختلفة للأنشطة المختلفة. والتفرقة من الممكن أن تحدث في الزمان أيضا. ففي الحالة السابقة فإن نفس الفراغ يمكن أن يكون مكان مختلف في أزمنة مختلفة نتيجة لتعاقب حضور جماعات معينة وسيادتها للموقف. وتم دراسة النقطة السابقة في نواصي الشوارع في حيدرأباد وفي الحدائق في نيروبي وغيرهم.

نقاط للتدارك

تشير النتائج من البحث فى الموضوع المعنى هنا، إلى بعض التحسينات فى أماكن قليلة، ونقائص فى أخرى. النتائج هى كالاتى :

1. **جودة الحياة** فى المدن تتحسن فى البعض منها. و لكن:

قد لا تكون مدننا مستدامة. بعض النقاط النشطة و المتعاونة مطلوبة ، فى :

- **التخطيط** للأمد الطويل فى المدن
- **إدارة** و تقليل مجارى **النفايات**
- الحفاظ على **التنوع الأحيائى**، الهواء و جودة مياه الشرب
- زيادة استخدام **التبادليات للسيارات الخاصة**
- تنشيط تنمية الأعمال بهدف خلق **توظيف مستدام**
- تنمية الأعمال و المهارات الوظيفية لتتناسب مع الاحتياجات الوظيفية

2. **الأمن المجتمعى** تحسن فى بعض المناطق، ولكن مطلوب مجهود أكثر فى :

- تحسين **أمن الطفل** شاملا الأصابات المقصودة و غير المقصودة
- **تقليل الإهانة** الموجهة للأطفال و صغار العمر
- **تقليل** الرسم على الحوائط و **السلوكيات غير المجتمعية**
- **زيادة الأمن** فى المدن و مراكزها (**خاصة بالليل**)
- تقليل **حوادث العنف** و الاعتداءات الجنسية

3. **إدارة التنوع** هو تحدى أساسىو نحتاج فيه **للتفكير المستقبلى** :

- **تخطيط للأعمار المناسبة** لجمهور المدينة (تخطيط عمرانى و تخطيط الخدمات)
- إدارة مسببات **الهجرة الداخلية** و تأثيراتها
- تنمية **استراتيجيات المستقرات**/الإسكان
- السيطرة على **الأمراض الجماهيرية** مثل السكرى، و السل، و ..
- تسهيل الأنشطة التى تساعد على الاحساس **باحتواء الجماعات الإثنية** و المسنين

4. **التواصل** لازال همًا. المناطق التى يمكن تعامل مجلس المدينة معها:

- **التعاون و التكامل للبنية التحتية** لخدمات النقل(طرق،سكك حديد،بواخر،طرق العجل،و ممرات المشاه)

- تأكيد لبرامج شاملة **المهاجرين فى نشاطات المدينة**
- تشجيع **الإبداعات التقنية** لربط الجمهور ، الأماكن و البرامج

5. **السلبيات الاجتماعية/اقتصادية** لازالت تؤثر على جودة الحياة. لا زال المجهود مطلوبا فى :

- عبر **الجماعات اجتماعية/اقتصادية** خاصة فى مجال الصحة، التعليم و التوظيف
- الاستثمار في الطفولة
- فى مجال **الإسكان و التزاحم**

6. إرادة الجمهور فى زيادة دوره فى **المشاركة فى اتخاذ القرار** .يمكن لمجلس المدينة تسهيل:

- **إعلام** الجمهور و إشراكه
- إزدياد التحسين فى اسلوب فى **اتخاذ القرار**
- تحسين **أساليب الانتخاب**

7. أهمية **استمرار الرصد** . مطلوب مجهودات جماعية لتأكيد:

- إمكانية **المعلومات** لمساندة رصد مقارن و اتخاذ قرار
- وضع **مؤشرات اجتماعية** ،اقتصادية،بيئية و ثقافية
- ضرورة العمل فى **مجموعات**

توصية أخيرة

نوصى بانشاء ملف وزارى للشؤون العمرانية يسجل نية الحكومة لبناء و تفهم للمسائل العمرانية فى الحكومة. ثم ، العمل فى تلك النقاط المذكورة عاليه، و المسائل الأخرى فى ذلك التقرير، للتنفيذ . لا شك فى أن تلك المجهودات سوف تساعد على تشكيل الاستراتيجيات الخاصة بجودة الحياة و المدن المستدامة لتقوية و تنمية المراكز الحضرية .